

## دروس وفوائد من آية الكرسي

### للشيخ عبد الرزاق البدر

#### 25 مجلسا

#### المجلس الرابع

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمدُ الله عزَّ وجلَّ أن منَّ عليّ بتفريغ هذه المجالس العلمية النافعة والتي ألقاها الشيخ عبد الرزاق البدر — حفظه الله — والتي عددها 25 مجلسا حول فوائد آية الكرسي .

كما أودّ أن أنبه إخواني أن الكلمة التي تحتها خط يجب مراجعتها و أن الأحاديث النبوية فهي مكتوبة كما هي مسموعة من الشيخ و أيضاً لا أسمح أن يُعتمد على هذا التفريغ دون مرافقة المادة الصوتية معه أو أن يأذن الشيخ .

هذا وأرجوا من الله سبحانه وتعالى أن يَكْتُب لي الأجرَ قَدَر ما يستفيدُ وينتفع به المسلمون من هذا العمل ، ومن سَاهَم أيضاً في نشره.

#### ما جاء في المجلس الرابع :

تكملة معنى كلمة التوحيد — لا إله إلا الله — .

وقفة مع بعض المفاهيم الخاطئة ل — لا إله إلا الله — .

مفهوم العبادة التي لا تتحقّق بها كلمة — لا إله إلا الله — .

#### التفريغ :

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَتُوبُ إِلَيْهِ وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ .

أيها الإخوة الكرام : لا يزال الحديثُ عن آيةِ الكرسي التي هي أعظمُ آيةٍ في كتاب الله عزَّ وجلَّ ، وقد مرَّ معنا في الدروس الماضية شيءٌ من المُقدِّمات حول فضلِ هذه الآيةِ الكريمة وعِظَمِ شأنِها وأنها أفضلُ آي القرآن الكريم ، ومرَّ معنا أنَّ هذه الآيةَ أُخْلِصَتْ لبيانِ التوحيد وتقريرِهِ وَذِكْرِ دَلَائِلِهِ وَبِرَاهِينِهِ ، وَأَنَّهَا صُدِّرَتْ بِكَلِمَةِ التَّوْحِيدِ — لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ — كما قال عزَّ وجلَّ في أول هذه الآية : ﴿ **لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ** ﴾ وهذه كلمة التوحيد التي هي أعظمُ الكلمات شأنًا وأجلُّها مكانةً وليس في الكلماتِ كلمةٌ أفضلُ من هذه الكلمة وقد قال عليه الصلاة والسلام : ﴿ **وخيرُ ما قُلْتُهُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ .

ومرَّ معنا أيضًا أنَّ هذه الكلمة العظيمة الجليلة المباركة — كلمة التوحيد — لا ينتفعُ بها قائلُها إلا إذا قالها عن عِلْمٍ وعن صِدْقٍ وَعَمَلٍ بما تقتضيه فإنَّها بذلك تكونُ نَافِعَةً لَهُ ، والعِلْمُ بمعناها شرطٌ من شروطِ قبولِها وقد مرَّ معنا بعضُ الأدلَّةِ على ذلك كقوله سبحانه

وتعالى : ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾

وقول النبي — صلى الله عليه وسلم — : ﴿ مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ

الجنة ﴾ رواه مسلم في صحيحه ، وكان الحديثُ بالأمس عن معنى كلمة التوحيد — لا إله إلا الله — وكان للحديثِ بقيةٌ فواصلُ اليوم — بإذن الله تبارك وتعالى — الحديثُ عن معنى هذه الكلمة المباركة — كلمة التوحيد — .

وبِهذه المناسبةُ تُعجِبُنِي كلمة قالها أحدُ أهل العلم مُبيناً مكانة العلم بلا إله إلا الله وأنَّ قائل لا إله إلا الله لا يَنْتَفِعُ بها إلا إذا كان قوله لها عن عِلْمٍ بمعناها ومعْرِفةٍ بمدلولها ، قال بعضُ أهل العلم : إنَّ لا إله إلا الله ومعناها بِمِثْلَةِ الروح من الجسد ومن المعلوم أنَّ الجسد لا تتحقَّق له الحركة إلا بروحه وإن لم تُكُنْ له روحٌ فلا حِرَاكَ له وهكذا الشأنُ في كلمة التوحيد — لا إله إلا الله — إذا قالها وهو لا يدري ما هي ولا يعرفُ ما تدلُّ عليه ولا يعرفُ معناها فإنه لا يَنْتَفِعُ بها ومن بابِ أولى إذا قالها وهو يَفْهَمُها فهماً خاطئاً مُنْحَرِفاً فهذا أشدُّ في الخطر والضرر ، ولهذا كان واجباً على كلِّ مُسلم أن يكونَ على عِلْمٍ ودِرايةٍ بكلمة التوحيد — لا إله إلا الله — يفهمُ معناها فهماً صحيحاً مُستقيماً على ضوءِ كتاب الله وسنة نبيه — صلى الله عليه وسلم — وما جاءَ عن السلف الصالح من الصحابة ومن اتَّبَعَهُمْ بإحسان .

وفي بيانِ معنى هذه الكلمة مرَّ معنا آيات كثيرة في القرآن الكريم تُفسِّرُ كلمة التوحيد — لا إله إلا الله — والقرآن يُفسِّرُ بعضه بعضاً ، وإذا جاءك تفسيرُ هذه الكلمة من الله جلَّ وعلا في كتابه فإنَّ هذا يُغْنِيكَ عن تفسير المُسرِّين وبيان المُبينين ، والقرآن الكريم فيه آياتٌ كثيرة تُفسِّرُ كلمة التوحيد — لا إله إلا الله — وتُبينها بياناً شافياً واضحاً كافياً ، وقد أن مرَّ معنا جُملة كبيرة من الآيات المُفسِّرة لكلمة التوحيد — لا إله إلا الله — ومن جِلال الآيات التي مرَّت معنا وغيرها ممَّا جاء في القرآن نَتَبَيَّنُ أنَّ طريقة القرآن في هذا الباب وفي

تقرير التوحيد قائمة على أصليين : النفي والإثبات، النفي العام للعبودية بكل أنواعها  
وبجميع أفرادها عن كل أحدٍ إلا الله سبحانه وتعالى وإثبات العبادة بكل معانيها لله وحده  
خالصة صافية نقيّة ليس لأحدٍ فيها شركة ، والآيات في هذا المعنى كثير قال تعالى : ﴿  
وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ۖ﴾ وقال تعالى : ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۚ﴾  
وقال تعالى : ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ﴾ وقال تعالى : ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ  
أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ والآيات في هذا المعنى كثيرة يُجمع فيها  
بين النفي والإثبات .

وبهذا يُعلم أنّ التوحيد الذي هو مدلول هذه الكلمة لا يتم للعبد ولا يتحقّق إلا بهاذين  
الأصليين : النفي والإثبات ، فمن جاء بالنفي صرفاً بدون إثبات لم يكن موحداً ومن جاء  
بالإثبات دون أن ينفي لا يكون موحداً بل لا يكون موحداً إلا بالجمع بين الأمرين اللذين  
جُمع بينهما في تقرير التوحيد وهما : النفي والإثبات ، ولا إله إلا الله فيها هذان الأمران  
: النفي والإثبات ، فقوله : — لا إله — هذا نفي ، وقوله : — إلا الله — إثبات ، وهذه  
الكلمة كلمة التوحيد وإن كانت كلمة واحدة إلا أنّها في قوّتها وتقريرها بمثابة جُمليتين :  
جُملة نافية وجُملة ثابتة ، الجُملة النافية مُكوّنة من " لا " النافية للجنس واسمها " إله "  
وخبرها وهو المحذوف المُقدر " حقّ " فهذه جُملة نافية ، والجُملة المُثبتة في الاستثناء في قوله  
: " إلا الله " فالله جلّ وعلا وحده هو المعبود بحقّ ولا معبود بحقّ سواه ، وبهذا تعلم أنّ  
لا إله إلا الله جُمعت في البيان بين أمرين : الأمر الأول نفي العبودية عن كل أحدٍ سِوى  
الله ، والأمر الثاني : إثبات العبودية بكل معانيها لله سبحانه وتعالى وحده ، ولهذا قال

العلماء : إنّ النفي والإثبات في كلمة التوحيد مُتلازمان من كلّ وجه ، فلا نفي إلا  
بالإثبات ولا إثبات إلا بالنفي ، مُتلازمان من كلّ وجه بمعنى أنّ العبد لا يتحقّق له البراءة  
من عبادة مَنْ سِوى الله إلا إذا أحلّص له الدّين ، ولا يتحقّق له إخلاص الدّين إلا بالبراءة  
من عبادة مَنْ سِوى الله ، فهما مُتلازمان لا يتحقّق النفي إلا بالإثبات ولا يتحقّق الإثبات

إلا بالنفي ، مرّة ثانية : لا يكون العبد مُحَقَّقاً للإخلاص وهو الإثبات الذي دلّت عليه كلمة التوحيد إلا بالبراءة الذي هو مدلول النفي في هذه الكلمة، ولا يتحقّق أيضاً النفي الذي هو البراءة والخُلوص من الشرك إلا بإثبات التوحيد وإخلاص العبادة لله تبارك وتعالى ، فلا يكون العبد مُوحداً إلا إذا حقّق الأمرين معاً ، أفرد الله عزّ وجلّ بالعبادة ونفى العبادة عن كلّ مَنْ سِوى الله ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً﴾ لا يكون عبداً حقاً لله إلا إذا نفى الشرك ولا أيضاً يتحقّق له انتفاء الشرك إلا إذا أحلّص الدّين لله سبحانه وتعالى وقام بالعبادة وجاء بها خالصةً لله عزّ وجلّ دون أن يجعل لأحدٍ فيها شريكاً .

لا إله إلا الله ومعناها ومدلولها أي : لا معبودَ بحقٍّ إلا الله ، وقد عرفنا أن معنى الإله في لغة العرب أي : المعبود ، من التألّه وهو التذلّل والتعبّد ، فالإله هو المعبود الذي يُقصد بالعبادة ويُلتجأ إليه بالطاعة ويُخضع له ويُذَلّ ويُركع له ويُسجد وتُصرف له أنواع العبادات ، ولا يستحقُّ شيئاً من ذلك إلا الله سبحانه وتعالى فهو الذي تفرّد بخلقِ الناس وإيجادهم فهو الذي يجب أن يُفرد بأنواع العبادة كما قال سبحانه وتعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ \* الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿ أي : لا تجعلوا لله شركاء في العبادة وأنتم تعلمون أنّه لا خالقَ لكم غيرُ الله ، فكما أنّه تفرّد بخلقكم ورزقكم والإنعام عليكم والتفضّل بصُنفِ النعم وأنواع المنن فليُفرد وحده تبارك وتعالى بالعبادة فلا يُصرف شيء منها إلا له ولا يُدعَ إلا هو ولا يُسأل إلا هو ولا يُستغاثُ إلا به ولا يُذبح إلا له ولا يُصرف أيُّ شيء من العبادة إلا له جلّ وعلا ، وهذا هو معنى قول المسلم — لا إله إلا الله — أي : لا معبودَ بحقٍّ إلا الله .

والنفي في قوله : " لا إله " مُنْصَبٌّ عَلَى الْخَبَرِ الْمَحْذُوفِ الْمُقَدَّرُ بـ " حَقٌّ " فَهِيَ نَافِيَةٌ لَوْجُودِ إِلَهِ حَقٍّ غَيْرِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَنَتَبَّهَ لِهَذَا : نَافِيَةٌ لَوْجُودِ إِلَهِ حَقٍّ غَيْرِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَلَيْسَتْ نَافِيَةٌ لَوْجُودِ الْآلِهَةِ الْبَاطِلَةِ الْمَزْعُومَةِ فَهِيَ مَوْجُودَةٌ ، وَكُلُّ مَا عُبِدَ وَقُصِدَ بِالْعِبَادَةِ فَقَدْ أُتْخِذَ إِلَهُ ﴿ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً ﴾ فَكُلُّ مَا عُبِدَ وَقُصِدَ فَقَدْ أُتْخِذَ إِلَهُ فَالنَّفْيُ مُنْصَبٌّ عَلَى الْخَبَرِ الْمَحْذُوفِ الْمُقَدَّرُ بـ " حَقٌّ " لا إله حَقٌّ ، فَالنَّفْيُ لَوْجُودِ إِلَهِ حَقٍّ غَيْرِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، أَمَّا الْآلِهَةُ الْبَاطِلَةُ فَمَوْجُودَةٌ وَكُلُّ مَنْ قُصِدَ بِالْعِبَادَةِ غَيْرُ اللَّهِ فَأَلُوهُيَّتُهُ بَاطِلَةٌ وَلَا أَحَقِّيَّةَ لَهُ فِيهَا مَهْمَا كَانَ وَمَنْ كَانَ ، فَالْأَلُوهُيَّةُ لِلَّهِ وَلَا يُقْصَدُ بِالْعِبَادَةِ إِلَّا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَلَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ أَهْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِلَّا إِذَا حَقَّقَ ذَلِكَ ، قَصَدَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِالْعِبَادَةِ وَنَفَاها عَنْ كُلِّ مَنْ سِوَى اللَّهِ — لَا إِلَهَ حَقٌّ — .

وَكَمَا قَدَّمْنَا لَا يَجُوزُ أَنْ يُقَدَّرَ الْمَحْذُوفُ بِغَيْرِ هَذِهِ الْكَلِمَةِ — كَلِمَةِ حَقٍّ — وَهِيَ الْكَلِمَةُ الَّتِي دَلَّ عَلَيْهَا الْقُرْآنُ وَدَلَّتْ عَلَيْهَا سُنَّةُ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطٍ كَفِّهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ فَالْعَلِيُّ الْكَبِيرُ وَهُوَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هُوَ الْإِلَهَ الْحَقُّ وَكُلُّ مَنْ سِوَاهُ إِذَا أُلِّهُ وَقُصِدَ بِالتَّذَلُّلِ وَالْخُضُوعِ وَالْعِبَادَةِ فَقَدْ أُتْخِذَ إِلَهُ بِالْبَاطِلِ — لَا إِلَهَ حَقٌّ إِلَّا اللَّهُ — ، عِنْدَمَا يُخْطَأُ الْإِنْسَانُ فِي فَهْمِ هَذَا الْمَعْنَى الْوَاضِحِ لِكَلِمَةِ التَّوْحِيدِ — لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ — يَقَعُ فِي الْأَنْحِرَافِ وَالزَّلَلِ وَمَا تِلْكَ الصُّورُ الْمَشِينَةُ وَالْأَعْمَالُ الْفَظِيْعَةُ وَالْأَنْحِرَافَاتُ الْمُتَكَاثِرَةُ الَّتِي يَقَعُ فِيهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ مُخَالِفِينَ بِهَا التَّوْحِيدَ الَّذِي خُلِقُوا لِأَجَلِهِ وَوُجِدُوا لِتَحْقِيقِهِ إِلَّا نَتِيجَةً مِنَ النَّاتِجِ لِلْجَهْلِ بِمَدْلُولِ هَذِهِ الْكَلِمَةِ الْعَظِيمَةِ وَعَدَمِ الدِّرَايَةِ بِمَدْلُولِهَا ، وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْخَطَأِ وَأَشَدِّهِ أَنْ يَكُونَ قَائِلٌ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يُرَدِّدُهَا وَلَا يَدْرِي مَا هِيَ أَوْ يَفْهَمُهَا فَهَمًّا خَاطِئًا .

ولعلّه هنا في هذا المقام من المناسب الإشارة على وجه التنبيه والتحذير لبعض المفاهيم الخاطئة التي وُجدت وقالها بعض الناس في معنى كلمة التوحيد — لا إله إلا الله — .

فَمِنْ قَائِلٍ إِنَّ معنى لا إله إلا الله أي : لا إله موجود إلا الله فجعل المحذوف المُقدّر هو ماذا ؟ موجود ، أو لا إله مُمكن إلا الله ، فقدّر المحذوف بموجود أو بمُمكن ، ماذا يترتب على هذا التقدير عندما يقول القائل إِنَّ معنى لا إله إلا الله أي : لا إله موجود إلا الله ؟ ونحن نعلم أن ثَمّة آلهة موجودة كثيرة جدا عُبدت بالباطل ، فماذا يكون الأمر وماذا يكون المعنى ؟ يكون المعنى : كلُّ إله وُجد وعُبد فهو الله ، فترجع الكلمة إلى أقبح عقيدة وأفسد عقيدة وهي عقيدة الحُلولية الذين يَقْصِدُونَ بالعبادة كلَّ شيء ويقولون : إِنَّ الله حالٌّ في كلِّ مكان تعالى الله عما يقول الظالمون علُوًّا كبيرَ ، فيقعون في خطأين فادحين : إخلال بالعبادة وإخلال بالترتبه — ترتبه الله سبحانه وتعالى — والله جلّ وعلا قال : ﴿ ذَلِكْ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ فلم يُثبتوا علوه ولم يُحققوا العبادة التي خلقهم لأجلها وأوجدهم لتحقيقها ، فانظر إلى ماذا يجرّ مثل هذا الفهم إلى أنواع من الانحرافات والزلل في فهم كلمة التوحيد — لا إله إلا الله — .

وَمِنْ قَائِلٍ إِنَّ معنى لا إله إلا الله أي : لا خالق إلا الله ، وهذا الأمر صحيح من حيث هو لا خالق إلا الله فالخالق هو الله وحده لكن هل هذا هو معنى لا إله إلا الله ؟ هل هذا هو مدلولها ؟ ولو كان هذا مدلول هذه الكلمة أيرفضها المشركون في زمن النبي عليه الصلاة والسلام الذين ذكر الله سبحانه وتعالى من شأنهم أنهم إذا سألوا من الخالق للسموات وللأرض والجبال والناس يقولون الله ، هم يعتقدون أنه لا خالق إلا الله ، ولو كان معنى لا إله إلا الله أي : لا خالق إلا الله لما رفض المشركون هذه الكلمة لأنها لا تُصادم عقيدة عندهم ، ولكنهم فهموا معناها وفهموا أنها تُبطل الآلهة والمعبودات ولهذا قال لهم عليه الصلاة والسلام : ﴿ قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَفْلَحُوا ﴾ قالوا : ﴿ أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ

هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُّ ﴿فَامْتَنَعُوا مِنْ قَوْلِ هَذِهِ الْكَلِمَةِ وَقَبُولِهَا لِأَنَّهَا تُبْطِلُ الْآلِهَةَ وَلَوْ كَانَ مَعْنَاهَا لَا خَالِقَ إِلَّا اللَّهُ لَمَا تَرَدَّدُوا فِي قَبُولِهَا وَالنُّطْقَ بِهَا ، وَفِي الْآيَةِ الْآخَرَى قَالَ تَعَالَى : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ \* وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَارِكُوا آلِهَتَنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ ﴾ .

ولمزيدٍ للإيضاح لهذا المقام أذكرُ بقصةِ أبي طالبٍ عمِّ النبي — صلى الله عليه وسلم — عندما حضرته الوفاة وأنتم تعلمون شأن عمِّ النبي — صلى الله عليه وسلم — مع رسولِ الله — صلوات الله وسلامه عليه — ربَّاهُ في الصِّغَرِ ووقفَ معه في الشدائدِ وصبرَ على الحِصَارِ عامين وبَدَلَ ماله وجاهه ومكائنه في نُصْرته والذبِّ عنه ، حصلَ منه أمورٌ كثيرة اتَّجَاهَ النبي عليه الصلاة والسلام وحاولَ النبي — صلى الله عليه وسلم — مرَّاتٍ وكُرَّاتٍ لِدَعْوَتِهِ وَهُدَايَتِهِ إِلَى التَّوْحِيدِ ، وَكَانَتْ آخِرُ مُحَالَةٍ لَهُ عِنْدَمَا حَضَرَتْ أَبِي طَالِبٍ الْوَفَاةُ ، فَجَاءَهُ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَكَانَ عِنْدَهُ أَبُو جَهْلٍ وَبَعْضُ الْمُشْرِكِينَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ — صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ — : ﴿يَا عَمَّ قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كَلِمَةٌ أَحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ وَمَنْ مَعَهُ : بَلْ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلَبِ .

وقبل إكمال القصة أطرحُ عليكم سؤالاً يُهمُّنا جداً في هذا الباب ، ما هي مِلَّةُ عَبْدِ الْمُطَّلَبِ ؟ أهِي نَفْيُ وَجُودِ اللَّهِ ؟ أَوْ أَنَّهُ يُثَبِّتُ أَنَّ اللَّهَ مُوجُودٌ ؟ سَوْأَلٌ آخَرُ : أَمِلَّةُ عَبْدِ الْمُطَّلَبِ نَفْيُ رَبُوبِيَةِ اللَّهِ ؟ أَنَّهُ الرَّبُّ الْخَالِقُ الرَّازِقُ الْمُنْعَمُ أَمْ أَنَّهُ يُثَبِّتُ الرَّبُوبِيَةَ ؟ يُثَبِّتُهَا ، لَمَّا جَاءَ أَبْرَهَةَ مَاذَا قَالَ ؟ قَالَ أَنَا رَبُّ الْإِبِلِ وَلِلْبَيْتِ رَبٌّ يَحْمِيهِ ، فَمِلَّتِهِ لَيْسَتْ نَفْيُ وَجُودِ اللَّهِ وَلَيْسَتْ أَيْضاً مِلَّتُهُ نَفْيُ رَبُوبِيَةِ اللَّهِ ، أَيْضاً سَوْأَلٌ ثَالِثٌ : هَلْ مِلَّةُ عَبْدِ الْمُطَّلَبِ نَفْيُ اسْتِحْقَاقِ اللَّهِ لِلْعِبَادَةِ ؟ هَلْ كَانَ يَنْفِي أَنَّ اللَّهَ مُسْتَحَقٌّ لِلْعِبَادَةِ وَأَنَّهُ يُعْبَدُ وَيُقَصَّدُ بِالْعِبَادَةِ ، هَلْ هَذِهِ مِلَّتُهُ أَمْ كَانَ يُعْبَدُ اللَّهُ ؟ كَانَ يُعْبَدُ اللَّهُ ، وَالْمُشْرِكُونَ كَانُوا يَعْبُدُونَ اللَّهَ وَيُحِبُّونَ اللَّهَ وَيُصَلُّونَ وَيُحْجُّونَ وَيَذْبَحُونَ ، لَكِنْ هَلْ هَذِهِ الْأَعْمَالُ كَانَتْ تَقَعُ مِنْهُمْ خَالِصَةً لِلَّهِ أَمْ جَعَلُوا



لله فيها شركاء ؟ هُنا الحُصومة وهُنا المشكلة ، قال الله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ﴾ هُم يُحِبُّونَ اللَّهَ وَلَكِنَّهُمْ يُحِبُّونَ الْأَنْدَادَ حُبّاً مُّثَالاً لِحُبِّ اللَّهِ ، وكان يحجّون ويقولون في الحج في تلبيتهم : لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك أي : أنت يا الله تملكه وهو لا يملكك ، هم يعتقدون أنّ الأصنام لا تملك وأنّ المالك النافع الضار المعطي المانع هو الله سبحانه وتعالى ، يعتقدون ذلك ، إذا قيل لهم لماذا تَقْصِدون هذه بالعبادة وتَتَّجِهون إليها بالعبادة قالوا ماذا ؟ ما نعبدهم إلا ليقربون إلى الله زُلْفى ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ ﴾ هم يقولون بصريح العبارة نحن نقصد هذه بالعبادة من أجل أن تَشْفَعَ لنا عند الله ومن أجل أن تُقَرِّبَنَا إلى الله زُلْفى ، فهذا أمر واضح ، إذن مرّة ثانية نقول قولهم : بل على مِلَّة عبد المُطَلِّب ما هي مِلَّة عبد المُطَلِّب ؟ ليس مِلَّة عبد المُطَلِّب نفى وجود الله وليست مِلَّة عبد المُطَلِّب نفى أنّ الله الخالق بل كان عبد المُطَلِّب يعتقد أنّه لا خالق إلا الله ولا ربّ إلا الله ولكنّه لم يُخْلِص العبادة لله ولم ينفي الشرك والتدديد الذي جعلوه للآلهة ، ولهذا قالوا : بل على مِلَّة عبد المُطَلِّب إذن لاحظ أماننا في الحديث ملّتان : مِلَّة لا إله إلا الله ومِلَّة عبد المُطَلِّب ، مِلَّة لا إله إلا الله ما هي ؟ إخلاص العبادة لله والبراءة من الشرك ، لا يُقصد بالعبادة إلا الله سبحانه وتعالى مهما كانت المُبرّرات ومهما كانت المُسوِّغات ، قالوا : قُربى أو وسيلة أو شفاعة أو أيّ كان المُبرّر ليس هناك أيّ مُسوِّغ لقصد أيّ مخلوق بالعبادة ، فالمِلَّة التي تدلّ عليها لا إله إلا الله : إخلاص الدّين لله سبحانه وتعالى والبراءة من الشرك ، ومِلَّة عبد المُطَلِّب هي اتّخاذ الشُّركاء مع الله بِحِجَّة أنّها تُقَرِّب إلى الله سبحانه وتعالى و تكون شفيعاً ووسيطاً عند الله سبحانه وتعالى ، قالوا : بل على مِلَّة عبد المُطَلِّب ، فأعاد النبي عليه الصلاة والسلام قال : ﴿ يَا عَمَّ قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كَلِمَةٌ أَحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ ﴾ فقال له : بل على مِلَّة عبد المُطَلِّب ، وانظروا حُطُورة قُرْءاء السوء وخطاء الفساد والشرّ ، قال : بل على مِلَّة عبد المُطَلِّب ، فمات وهو يقول

: هو على ملة عبد المطلب ، فقال النبي عليه الصلاة والسلام : ﴿ لَا سْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ  
أَنْهَى عَنْ ذَلِكَ ﴾ فترل قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ  
يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾  
وحزن النبي عليه الصلاة والسلام ونزل قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ  
أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ وفي الآية الأخرى قال الله تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ  
هُدَاهُمْ ﴾ وفي الآية الثالثة قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ  
بِمُؤْمِنِينَ ﴾ يعني لو حرصت على هدايتهم إن لم يكتب الله لهم الهدية لا يهتدون ، الهداية  
بيد الله سبحانه وتعالى الهادي هو الله ، وفي الآية الرابعة قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ أَفَمَنْ  
زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ  
عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ ﴾ الأمر لله سبحانه وتعالى والهداية بيده جلّ وعلا ولا تطلب إلا منه  
سبحانه ، فهو عليه الصلاة والسلام بذل الذي عليه من النصح والبيان والدلالة والإيضاح  
وأما أمر الهداية فهي لله سبحانه وتعالى والهادي هو الله .

تعجب أيضاً في قضية أبي طالب عندما تعرف من قصته وخبره أنه قد أدرك في قرارة  
نفسه أن دين محمد عليه الصلاة والسلام دين صحيح وأنه أصبح من الدين الذي هم عليه  
أدرك ذلك ، وأعلن ذلك في أبيات له قال :

ولقد علمتُ بأنَّ دينَ محمدٍ ..... من خيرِ أديانِ البريةِ دينَ

طيب لماذا لا تسلم مادمت قد علمت أن دينه من خير أديان البرية لماذا لا تعتنق هذا الدين  
، لماذا لا تسلم ؟ يُجيبك على سؤالك فيقول :

لولا الملامةُ أو حِدَارُ مسبَّةٍ ..... لرأيتني سمحاً بذاك مبينا

هذا اللي يمنعني ، الذي يمنعني عن الدخول في هذا الدين أخاف من المسبة ، يقولون ترك دين آبائهم وأجدادهم وصار صابئاً ، هذا الذي يمنعني وإلا أنا عرفت أنه دين من خير الأديان وأصحها ، وهنا تأتي مشكلة كبيرة جداً في أقوام وأناس يكون نشأ في بيئة ضلال وفي مجتمع نشأ وتفش فيه الضلال تجده يسمع بأذنه الحق الواضح البين ويأبى أن يقبله لا لعدم وضوحه ولا لعدم قناعته بصحته وإنما ماذا ؟ ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾ مسايرة الآباء ومسايرة من نشأ في مجتمع هذه تعتبر مشكلة منعت كثير من الناس عن قبول الحق وصدقتهم عن الهدى ولا يليق بالعاقل أن يكون بهذه الصفة ، بل الحق ضالة المؤمن أينما وجدته أخذه ولو كان الآباء والأجداد على خلافه ، أي شيء ينفعك آبائك وأجدادك يوم القيامة إذا كان الدين الذي عليه دين خاطئ ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ \* وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ \* وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ \* لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ .

فهذه القصة فيها عبرة وعظة في فهم كلمة التوحيد — لا إله إلا الله — قال : بل على ملّة عبد المطلب ، وملّة عبد المطلب ليست نفي وجود الله وليست ربوبية الله وليست نفي أن الله يستحق أن يُعبد بل عقيدتهم اتّخاذ الشركاء مع الله في العبادة ، وذكرت لكم ما جاء في مُسند الإمام أحمد بسندٍ ثابت أن النبي عليه الصلاة والسلام سأل رجلاً من المشركين قال له : ﴿ كَمِ إِلَهًا تَعْبُدُ ﴾ قال : سبعة ، سِتَّةٌ في الأرض وواحدٌ في السماء ، الذي في السماء هو الله والذين في الأرض أصنام اتّخذوها معبودات مع الله سبحانه وتعالى ، إذن يعبدون الله ويعبدون معه غيره هنا المشكلة ، ولما قال لهم عليه الصلاة والسلام : ﴿ قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَفْلَحُوا ﴾ أدركوا تماماً وعرفوا أن هذه الكلمة تعني إبطال الملّة التي هم عليها وهي عبادة الأصنام وصرف العبادة لغير الله سبحانه وتعالى وأنها تعني إخلاص الدين لله سبحانه وتعالى دون أن يتخذ معه شريك ، أدركوا ذلك فاستكبروا وامتنعوا ورفضوا وقالوا : ﴿ أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾ .

ولهذا نبه العلماء أنّ من المفيد للمسلم في فهم لا إله إلا الله أن يدرس السيرة ، سيرة النبي عليه الصلاة والسلام مع كفّار قريش ومع المشركين عموماً وما هي الخصومة التي كانت بينهم ؟ هل كانت الخصومة في إثبات وجود الله ؟ هل كانت الخصومة في إثبات أن الربّ الخالق الرازق هو الله ؟ لا ، ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ يعترفون ويقرّون بأنّ الذي خلقهم الله والذي خلق السموات والأرض الله والذي خلق الجبال الله ، يُقرّون بذلك ، فالخصومة التي كانت بينهم وبين النبي عليه الصلاة والسلام في تحقيق مدلول لا إله إلا الله وهو نفي العبادة عن كلّ من سوى الله وإثباتها بكلّ معانيها لله وحده ، وهذا ما كان المشركون يرفضونه ولا يقبلونها لأنهم على قناعة باتّخاذ الأنداد والشركاء بحجّة أنّها تشفع لهم عند الله وبحجّة أنّها تُقرّبهم إلى الله زُلفى ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ فهنا المشكلة .

لا إله إلا الله : عرفنا أنّ معنى الإله المعبود ، لا إله إلا الله أي : لا معبود حقّ إلا الله ، وهنا نلاحظ أمراً مهماً في فهم لا إله إلا الله أنّ العبد ليكون مُحَقَّقاً للا إله إلا الله لأبَد أن يفهم العبادة التي هي حقّ لمن ؟ حقّ لله سبحانه وتعالى — لا معبود حقّ إلا الله — هذا معنى لا إله إلا الله ، فإذا قال المسلم لا إله إلا الله أي : لا معبود حقّ إلا الله يجب أن يعرف العبادة التي هي حقّ لله يعرفها من أجل ماذا ؟ من أجل أن يصرفها لله ولا يصرفها لغيره ، أرأيتم لو أنّ إنساناً قال : لا إله إلا الله أي : لا معبود بحقّ إلا الله ولكنه لا يعرف العبادة ما هي ، أليس من المتوقّع أن يصرف أنواعاً منها لغير الله ويظنّ أنّ هذا ليس من العبادة وهذا بالفعل وقع ، صرفت أنواع من العبادة التي هي حقّ لله سبحانه وتعالى لغيره وقال من صرفها : ليست هذه عبادة ، وإذا قلت له ما هي ؟ قال : هذه شفاعة أو قال هذا توسّل أو نحو ذلك من الأسماء التي لا تُغيّر الحقائق ، إذن من المهم في فهم لا إله إلا الله وتحقيقها أن نفهم العبادة التي هي حقّ لله وليس لأحد فيها حقّ .

ولاحظ معي ملاحظةً مهمّة : لا إله إلا الله أثبتت ونفت ، أثبتت العبادة لله ونفت الشرك ، فإذا لكي يُحقّق المسلم لا إله إلا الله فعليه أن يفهم العبادة ما هي من أجل أن يُخلصها لله ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ وأيضاً لأبّد أن يفهم الشرك ما هو ليكون منه على حذر .

فما هي العبادة التي خلق الله سبحانه وتعالى الخلق لأجلها ووجدهم لتحقيقها كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ وكما قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ وأول أمرٍ يُصادفك إذا قرأت القرآن ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ ﴾ وأول فعلٍ لأهل الإيمان يُصادفك في القرآن : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ فالعبادة حقٌّ لله سبحانه وتعالى فما هي العبادة ؟ قال العلماء في معناها : (( العبادة هي غاية الذلّ مع غاية الحبّ لله سبحانه وتعالى )) ، والكلمة مأخوذة لغةً العبادة من الذلّ ، تقول العرب : طريقٌ مُعبّد أي ماذا ؟ مُذللّ ، ذلّته الأقدام من كثرة الوطء ، ويقولوا : الناقة مُعبّدة أي : مُذلّلة ذلولٌ ، فالمُعبّد المُذللّ والعبادة التذللّ ، عبادة الله هي غاية الذلّ له مع غاية الحبّ وإذا اجتمع في العبد ذلٌّ تامّ وحُبٌّ تامّ لله سبحانه وتعالى انقادت جوارحه طواعيّةً وامتنالاً وانقياداً لأوامر الله سبحانه وتعالى ، ولهذا أيضاً قال أهل العلم في معنى العبادة قالوا : (( هي اسمٌ جامعٌ لكلّ ما يُحبّه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة )) ، ولهذا أيضاً فالعبادة منها ما يكون في القلب ومنها ما يكون في اللسان ومنها ما يكون في الجوارح ، أعمال القلوب الصالحة من الرجاء والخوف والتوكل والإنابة والاستعانة وغير ذلك كلّها هذه عبادة لا يجوز صرفها لغير الله .

قال الله سبحانه وتعالى في الخوف : ﴿ إِنَّمَا ذِكْرُ الشَّيْطَانِ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى في الرجاء : ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾ .

وقال سبحانه وتعالى في المحبة : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ .

وقال الله سبحانه وتعالى في الرغبة والرغبة ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ .

وقال جلّ وعلا في التوكل : ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ .

فهذه كلّها عبادات قلبية لا يجوز أن تُصرف إلا لله سبحانه وتعالى ، وأيضاً عبادات اللسان ذكرُ الله وحمدهُ جلّ وعلا وتكبيره وتعظيمه والأعمال الصالحة الأخرى التي تكون باللسان ، هذه كلّها عبادات مقرّبة إلى الله ، وأيضاً أعمال الإنسان بجوارحه ونفقاته في سبيل الله بماله وبذله ، هذه كلّها عبادات لا يجوز أن تُصرف لغير الله سبحانه وتعالى ، ولهذا لا يتحقّق التوحيد ولا تتحقّق للعبد كلمة التوحيد إلا إذا فهم العبادّة من أجل أن يُخصّ الله سبحانه وتعالى بها .

وهنا أضرب الأمثلة لتوضيح المقام وتجليّته وبيانه : من العبادات السجود قال الله تعالى : ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ ﴿فلو أن إنساناً سجدَ مُتذللاً خاضعاً مُنكسراً واضعاً جبهته التي هي أشرفُ شيء في بدنه على الأرض على التراب لغير الله ، ماذا يكون ؟ حتى ولو قال لا إله إلا الله ماذا يكون ؟ يكون مُشركاً ، لم يُحقّق لا إله إلا الله قال الله تعالى : ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ فالسجود لله سبحانه وتعالى ، السُجود لله عبادّة يتذلّل بها المسلم ويخضع لله جلّ وعلا ، يضع جبهته التي هي أشرفُ شيء فيه تذللاً لله ربّ العالمين ، وقد بلغني قصّة إسلام رجل عجيبة ، يقول في سبب إسلامه أنني رأيت ولأول مرّة في حياتي مُسلم ساجد — أول مرّة رأى السجود — يقول : رأيتُ مسلم ساجد فنظرتُ إليه وبهذه الطريقة ساجد على هذه الصفة فقلت في

نفسِي : الجبهة والوجه أشرفُ شيء في الإنسان ولا يُمكن أن يضعها على الأرضِ بهذه الصفة إلا المُستحقّ ، يقول : فانتظرتُه حتى انتهى ، قُلْتُ له لمن وضعت جبهتك بهذه الصفة في الأرض ؟ قال لله ، قُلْتُ : من الله ، عَرَّفني يقول فدخلت في الإسلام واعتنقت هذا الدِّين ، انظر هذا الفهم العجيب ، فالسُّجود عبادة لله سبحانه وتعالى لا يجوز صرفها لغيره فمن صرفها لغيره أشرك وجعلَ الله نِدًّا .

وَمِنَ الْعِبَادَاتِ الدُّعَاءُ ، أليس النبي — صلى الله عليه وسلم — قال في الحديث الصحيح : ﴿الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ﴾ وتلى قول الله سبحانه وتعالى : ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ الدعاء عبادة ، وقد قال النبي عليه الصلاة والسلام : ﴿إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعُوا أَنْ يَنْفَعُوكَ شَيْءٌ ، لَنْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَنْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ﴾ فالدُّعاء والطلب والالتجاء عبادة لا تُصرف إلا لله سبحانه وتعالى ، وقد مرّت معنا الآية : ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ وقال عزّ وجلّ : ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ \* إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بَشِيرِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ وقال سبحانه وتعالى : ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا \* أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ هذه الآية جاءت في أقوام كانوا يعبدون نفراً من الجن صالحين ، أسلموا واستقاموا على عبادة الله يرجون رحمة الله ويخافون عذابه وأولئك يعبدونهم من دون الله ، فالله قال لهم : ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ وقال جلّ وعلا : ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ \* وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا



لَهُمْ أَعْدَاءٌ وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿١﴾ فَالدُّعَاءُ عِبَادَةٌ لَا تُطْلَبُ إِلَّا مِنْ اللَّهِ وَلَا يُلْتَجَأُ بِهَا إِلَّا إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، فَمَنْ دَعَا غَيْرَ اللَّهِ مَاذَا يَكُونُ ، مَنْ صَرَفَ هَذِهِ الْعِبَادَةَ لِغَيْرِ اللَّهِ مَاذَا يَكُونُ ؟ الْقُرْآنَ بَيَّنَ ذَلِكَ ﴿٢﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ \* وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٣﴾ فَالدُّعَاءُ عِبَادَةٌ وَهِيَ حَقٌّ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَا يَجُوزُ أَنْ تُصَرَفَ لِغَيْرِهِ فَإِذَا صُرِفَتْ لِغَيْرِهِ كَانَ مَنْ صَرَفَهَا لِغَيْرِهِ وَاقِعًا فِي الشَّرِكِ بِاللَّهِ .

أَذْكُرُ مَرَّةً عَلَيَّ قِصَّةَ مَعَ أَحَدِ الْأَشْخَاصِ أَذْكُرُهَا لِمَا فِيهَا مِنْ فَائِدَةٍ ، كُنْتُ مَرَّةً جَالِسًا وَإِلَى جَنْبِ رَجُلٍ مَادًّا يَدَيْهِ يَدْعُوا ، ثُمَّ اسْتَمَرَّ بِالدُّعَاءِ ثُمَّ أَخَذَ بِالنَّشِيجِ وَالْبُكَاءِ فَأَثَّرَ فِي رِقَّتِهِ وَبُكَائِهِ — أَثَّرَ فِي — ثُمَّ سَمِعْتُهُ يَرْفَعُ صَوْتَهُ فِي الدُّعَاءِ وَإِذَا بِهِ يَطْلُبُ مِنَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَقُولُ : مَدَدَ يَا رَسُولَ اللَّهِ .. أَدْرِكُنِي .. أَلْحِقْنِي .. وَشَيْءٌ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ ، فَصُدِّمْتُ !! بُكَاءٌ وَخُشُوعٌ وَمَدَّ يَدَيْنِ وَسُؤَالٌ وَالتَّجَاءُ لَكِنْ لِمَنْ ؟ لِغَيْرِ اللَّهِ ، النَّبِيِّ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — قَالَ : ﴿ إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ ﴾ لَا طَفْتُ الرَّجُلَ وَتَحَدَّثْتُ مَعَهُ طَوِيلًا وَعَرَضْتُ عَلَيْهِ آيَاتٍ كَثِيرَةً مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي أَنْ الدُّعَاءُ عِبَادَةٌ وَالْعِبَادَةُ حَقٌّ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَا يَجُوزُ أَنْ تُطْلَبَ لِغَيْرِهِ مِنْهَا مَا أَشْرَتْ إِلَيْهِ قَبْلَ قَلِيلٍ وَمِنْهَا آيَاتٌ أُخْرَى فِي الْقُرْآنِ ذَكَرْتُهَا لَهُ وَأَطَلْتُ لَهُ فِي عَرْضِ الْآيَاتِ ، ثُمَّ أَحْبَبْتُ أَنْ أَطْمَئِنَّ هَلْ فَهَمُ الْأَمْرِ أَوْ لَا ؟ فَسَأَلْتُهُ سُؤَالًا ، قُلْتُ لَهُ : يَا حَاجَ مَا رَأَيْتُكَ ؟ قَالَ لِي كَلَامًا عَجِيبًا ، قَالَ لِي : تَقُولُ لِي مَا رَأَيْتُكَ وَأَنْتَ تَقْرَأُ عَلَيَّ آيَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ وَأَحَادِيثَ عَنِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، مَا لِي رَأَيْتُ أَنَا هَذَا قُرْآنَ وَسُنَّةَ ، مَا لِي رَأَيْتُ ، أَحْبَبْتُ أَنْ أَطْمَئِنَّ أَكْثَرَ هَلِ الرَّجُلُ فَهَمٌ أَوْ لَا ؟ قُلْتُ لَهُ مُعْذِرَةٌ أَنَا سَمِعْتُكَ قَبْلَ قَلِيلٍ تَدْعُوا غَيْرَ اللَّهِ وَهَذَا مُخَالَفٌ لِهَذِهِ الْآيَاتِ وَمُخَالَفٌ لِهَذِهِ الْأَحَادِيثِ فَمَا رَأَيْتُكَ الْآنَ ؟ قَالَ لِي : أَنَا مِنْ بَلَدٍ كَذَا وَاسْمٌ لِي بَلَدُهُ ، مَا أَحَدٌ قَالَ لِي الْكَلَامَ هَذَا ، يَعْنِي الَّذِي أَفْهَمَ هُوَ خِلَافٌ مَا فِي الْقُرْآنِ وَخِلَافٌ مَا فِي السُّنَّةِ وَإِلَّا النَّاسَ بِخَيْرٍ إِذَا ثَلَّى الْقُرْآنَ وَثَلَّتْ عَلَيْهِمُ أَحَادِيثُ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ



عليه الصلاة والسلام ، الحقّ أبلج واضح والباطل للجلج ، الحقّ واضح تماماً عليه نور إذا  
تُليت الآيات وإذا تُليت كلام الله وكلام رسوله عليه الصلاة والسلام في غاية الوضوح ،  
لكن إذا ابتلي العوام بدعاة الباطل ودعاة الضلال ومزجوا لهم الحق بالباطل وأعطوهم  
أحاديث ضعيفة مثل أن يأتيه رجل ويقول له قال — صلى الله عليه وسلم — : إذا أعيتكم  
الأمور فعليكم بأهل القبور ، وهو عامي ما يعرف شيء يظن إن هذا حديث وفعلا يظن  
إن هذا دين ويتجه إلى القبر ويسأله ، فيخفون عليهم الآيات الواضحة في القرآن  
والأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي — صلى الله عليه وسلم — ويعطوهم ماذا ؟  
موضوعات ومكذوبات وأحاديث مُفتراة على النبي عليه الصلاة والسلام فيقع العوام في  
ورطات عظيمة جداً ، ولهذا تجده يتجه إلى القبور ويستغيث ويعبدها ويدبح لها وينذر  
لها ويصرف لها أنواعاً من العبادات ، فالدعاء عبادة وهو حق لله سبحانه وتعالى والبراهين  
على ذلك في القرآن لا حصر لها كثيرة جداً .

أيضاً من العبادات الذبح قال الله عزّ وجلّ : ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾ أي : لربك ، وقال  
عزّ وجلّ : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ \* لَا شَرِيكَ لَهُ ﴾  
وثبت في الصحيح عن النبي عليه الصلاة والسلام من حديث علي بن أبي طالب — رضي  
الله عنه — أن النبي — صلى الله عليه وسلم — قال : ﴿ لعن الله من ذبح لغير الله ﴾  
واللعن هو : الطرد والإبعاد من رحمة الله عزّ وجلّ ، حتى لو كان الذي ذبحه لغير الله من  
أتفه الحيوانات وأحسنها يكون مُشركاً ، ولهذا جاء في الحديث قال عليه الصلاة والسلام  
: ﴿ دخل رجل الجنة في ذباب ودخل رجل النار في ذباب ﴾ قالوا : كيف ذاك ؟ قال :  
مرّ رجلان على قوم عندهم صنم ولا يسمحون لأحد أن يجوزه إلا أن يُقرّب ، فقالوا  
لأحدهم قرّب ، قال : ما عندي شيئاً أقربّه ، قالوا قرّب ولو ذبابة ، فاصطاد ذباب من  
المواء وقطع رأسه قربةً لهذا الصنم ، قال عليه الصلاة والسلام : فمات فدخل النار ،  
قرّب ذباباً فمات فدخل النار ، قالوا للآخر : قرّب ، قال : ما كنت لأقرّب لأحد غير الله

فقطعوا عُنُقَهُ فدخلَ الجنةَ ، قَرَّبَ ذُبَاباً لغيرِ الله فدخل به النار فما بالكُم بمن يُقَرَّب لغير الله الشاة السمينه والناقة السمينه .

كما تقدّم الخطأ الذي يقع فيه كثير من الناس في هذا الباب ينشأ عن الجهل بمدلول هذه الكلمة العظيمة كلمة التوحيد — لا إله إلا الله — فمع وجود الجهل وأيضاً من جهة أخرى وجود الشبهات التي يُلقيها دُعاة الضلال وأهل الباطل يقع كثير من الناس في أنواع من الانحرافات وخاصة تلك الانحرافات التي تقع على بعض الناس من مداخل أرادوا بها قصداً صحيحاً ولكن بمسلك خاطئ وطريقة فاسدة ، كلّ مسلم يحبّ أن يكون النبي — صلوات الله وسلامه عليه — شافعاً له يوم القيامة ، فتختلط عليه الأوراق هنا ويظن أن هذا يعني أن تُطلب الشفاعة منه عليه الصلاة والسلام وهذا موضوع في غاية الأهمية وكثيرا ما تقع فيه أخطاء بسبب العاطفة المبنية على غير علم وعلى غير فهم لكلام الله ولكلام رسوله عليه الصلاة والسلام .

ولهذا بحول الله وقوّته سيكون في ضمن الدرس القادم بيان للأمور التي تنال بها شفاعة النبي الكريم عليه الصلاة والسلام يوم القيامة من خلال الآيات والأحاديث الصحيحة ، حتى يعرف المسلم الطريق الصحيح بعيداً عن الأهواء المضلّة والشبه المطغية بالآيات الواضحات والأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي عليه الصلاة والسلام ، وسأشير إلى نقاط مهمة يُحافظ عليها المسلم وبإذن الله تبارك وتعالى تكون سبباً لنيله لشفاعة النبي الكريم عليه الصلاة والسلام .

ونسأل الله جلّ وعلا أن يُبلّغنا رضاه وأن يُوفّقنا لهداه وأن يُصلّح لنا شأننا كلّه وألا يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين وأن يجعلنا من أهل لا إله إلا الله حقاً وصدقاً وأن يُحيينا عليه ويُميّتنا عليها وأن يجعل آخر كلامنا من الحياة الدنيا لا إله إلا الله إنه تبارك وتعالى سميع الدعاء وهو أهل الرجاء وهو حسبنا ونعم الوكيل

قام بتفريغها

حيدر